الفصل الثاني

اليمن في عصوره القديمة

الملكة السيدة الحرة ملكة ملوك اليمن[1]

بمناسبة المؤتمر النسوي:

يخال بعض الناس أن المرأة العربية لم يكن لها شأن يذكر في الأعمال الجسام والأحداث العظام، وأنها لم تكن إلا مرؤوسة للرجل خاضعة لسلطانه، مع أن نظرة سريعة إلى التاريخ تعصف بهذا الوهم، وتذهب به أدراج الرياح، فإن من النساء العربيات من رأست الرجال، وقادت الجيوش إلى مواطن النصر، وساست الممالك أرشد السياسات وأقومها، وقد ذكر القرآن الكريم منهن (بلقيس) ملكة سبأ في اليمن، كما كشف علم الآثار عن (زنوبية) ملكة تدمر التي يسميها العرب في أقاصيصهم (الزباء)، وفيهن الكثيرات ممن قدن الجيوش، وثللن العروش، مما لو أفضنا فيه لخرجنا عن الحدود التي اختططناها لهذا المقال، هذا قبل الإسلام، أما بعده فقد ظهر منهن عدد عديد كان له المكان الأفسح في تاريخنا، وأنا لا أريد أن أتبسط في ذكر الكثيرات من العربيات اللواتي ضربن بسهم وافر في النهضة الإسلامية، وإنما أريد أن أقصر هذا المقال على امرأة ملكت اليمن ودان لسلطانها ملوكه وأمراؤه، فساستهم أحسن سياسة، وكان عهدها من أحسن عهود اليمن أمنًا وعدلاً ورفاهية.

تلك هي (**أروى بنت أحمد الصليحي**) من الأسرة التي ملكت اليمن من

---

(١) الأستاذ طه الراوي، مجلة عالم الغد، العدد ٧، السنة الأولى، ١ مارس ١٩٤٥م، ص١٩٩، ٢٠٠.

أواسط القرن الخامس الهجري إلى أواسط القرن السادس، وأول ملوكهم (**علي بن محمد بن علي الصليحي**)، وآخر ملوكهم السيدة (أروى) التي توفيت سنة ٥٤٥هـ.

وكانت ولادتها سنة ٤٤٠هـ في اليمن، وفي بيت الملك، وتولت (أسماء بنت شهاب الصليحية) تربيتها وتهذيبها، فنشأت حافظة للقرآن، واسعة الإطلاع على الآداب، متفقهة في الدين، مع ذكاء مفرط وعقل رصين، وكانت تجمع إلى هذه الصفات جمالاً بارعًا يضرب به المثل، فكانت بيضاء مشربة بحمرة، مديدة القامة، معتدلة البدن، إلى السمن أقرب، جميلة الملامح، فصيحة اللسان، وكانت على ذلك جهورية الصوت، ثم اقترنت بـ(أحمد بن علي الصليحي) الملقب بالمكرم سنة ٤٦١هـ، وكان إذ ذاك لا يزال وليًا للعهد، فرزقت منه أربعة أولاد ابنان وقد ماتا صغيرين، وابنتان عاشتا حتى تزوجتا من بعض الأمراء.

ولما انتقل صولجان الملك إلى (أحمد بن علي الصليحي) زوج الحرة، وقعت بينه وبين بعض متغلبة الأحباش في اليمن وقائع يطول شرحها، انتهت بانتصاره عليهم، وأصيب من جراء تلك الوقائع بأتعاب عصبية؛ فرأى أن يعتزل السياسة، ويركن إلى الراحة، فعهد إلى زوجه السيدة أن تقوم مقامه في سياسة المملكة، فامتنعت أولاً وقالت: إن المرأة ملكة البيت، فليس لها أن تفارق مملكتها هذه إلى غيرها، ولكنها لما آنست منه الإلحاح في الطلب أقدمت على ما ندبها إليه بعزيمة صادقة، ونية خالصة، فرأت أولاً أن تنشئ لزوجها قصرًا عظيمًا بموضع يعرف **بذي جبلة**. فلما تم ما أرادت انتقل زوجها إليه، وأطلقت عليه اسم (**دار العز**)، ثم إن زوجها أمر ببناء قصر آخر

بين نهرين هناك، وأطلق عليه اسم (**دار العز الثانية**)، وهنالك انفرد بلهوه وطربه، وترك تدبير الملك إلى زوجه السيدة، فنهضت بأعبائه بقوة ودراية، وبقي الملك المكرم في دار العز إلى أن توفاه الله سنة ٤٨٤هـ، فانفردت السيدة بتدبير الملك، وانتقلت إلى دار العز بذي جبلة.

ومن بارع تدابيرها أنها احتالت على (سعيد بن الأحول الحبشي) الذي وثب على (زبيد) وانتزعها من آل الصليحي، فأخرجته من (زبيد) وقتلته وأبادت عسكره، وضمت (زبيدًا) إلى مملكتها، وخلاصة ذلك أنها حرضت بعض أمراء اليمن أن يسول لسعيد هذا أمر الاستيلاء على ملك آل الصليحي بدعوى أن ملكهم المكرم أقام على اللهو واللعب، فخرج سعيد بجيشه للاستيلاء على ذي جبلة أولاً، فأرسلت هي من وقتها جيشًا لاحتلال زبيد أولاً، ثم جيشًا آخر عرض لجيش سعيد في بعض منازله فأباده وقتل سعيدًا هذا، وبذلك تخلصت من أكبر مناوئ لآل الصليحي في تهامة.

وبعد وفاة زوجها المكرم حاول (**سبأ بن أحمد الصليحي**) المعروف بالداعي[1] أن يخطبها لنفسه، ولم يكن يقصد من وراء ذلك إلا الاستيلاء على مملكتها، فأبت عليه أشد الإباء فغزاها جيش لجب، فقابلته بمثله، وكان بين الجيشين وقائع أريقت فيها دماء كثيرة، ثم أشار على سبأ بعض النصحاء بأن يوسط في حل هذه المشكلة (المستنصر الفاطمي) بمصر، ففعل، فأجابه المستنصر إلى طلبته، وكتب إلى السيدة الملكة في أثناء المكاتبات ثلاثة أسطر يأمرها فيها بنكاح الداعي سبأ، وسير إليها أستاذًا له،

(١) كان الفاطميون بمصر يطلقون هذا اللقب على من يخلص لهم الولاء من الأمراء وغيرهم.

فحضر مع جماعة من حاشية سبأ إلى السيدة، فاستأذنوا عليها في قصرها فقال الرسول: "أمير المؤمنين يرد على الحرة الملكة السيدة الرضية الزكية، وحيدة الزمن، سيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام، ذخيرة الدين، عصمة المسترشدين، كهف المستجيبين، ولية أمير المؤمنين، وكافلة أوليائه الميامين، ويقول لها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحد المنصور المظفر، عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمير سبأ بن أحمد بن علي الصليحي على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينًا وخمسون ألفًا أصنافًا، من تحف وألطاف وطيب وكساوى ...".

فقالت: أما كتاب مولانا فأقول فيه: إني إلى كتاب كريم إنه من سليمان وإن بسم الله الرحمن الرحيم. ولا أقول في أمر مولانا يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون. وأما أنت يا ابن الأصبهاني فوالله ما جئت إلى مولانا من سبأ بنبأ يقين، ولقد حرفتم القول عن مواضعه وسولت لكم أنفسكم أمرًا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.

ثم تقدم (زريع بن أبي الفتح) وزيرها و(الأصبهاني) ونظراؤهما فلم يزالوا يلاطفونها حتى أجابتهم، فعقدوا النكاح، ولم يلبث سبأ المذكور أن سار في جيش ضخم إلى ذي جبلة فأقام هنالك شهرًا وأقام الضيافات الواسعة في مخيمه، وأنفق على عساكره من ماله مثل الذي قدمه إلى السيدة الملكة من المهر، فعل كل ذلك قبل أن يستأذن على الملكة بالدخول إليها، وهنالك وقف على مكانة تلك الملكة في قلوب رعيتها وشدة تعلقهم بطاعتها، وكثرة

ثنائهم على كياستها وحسن سياستها، فأرسل إليها يستأذن بالدخول إلى القصر؛ ليتوهم الناس أنه بنى عليها، فأذنت له فلم يقم في القصر إلا ليلة واحدة، قيل: إنه لم يرها فيها، ورحل عن ذي جبلة إلى مقره..

ولم تزل تدبر المملكة أحسن تدبير وتسوسها أحسن سياسة إلى أن وافاها الأجل سنة ٥٤٥هـ، ولها في رفقها بالرعية وتقريب أهل الفضل والعلم وحكايات يطول سردها، وكانت من الحزم بمكان، بحيث لم يخرج عليها خارج فيفلت من قبضتها، وكانت تضرب بعض الخارجين ببعض فتفلح في النهاية، ويكون لها القول الفصل بين الفريقين، وكانت صلتها بالفاطميين بمصر وثيقة العرى، فلم تكن تعصي لهم أمرًا، ولا تخرج عن حدود ما يرسمون، وكان الفاطميون يعظمونها ويرفعون مكانتها، ومن أمثلة ما يكتبون لها في صدور رسائلهم ما نصه: " إلى الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية، وحيدة الزمن، وسيدة ملوك اليمن، عمدة الإسلام، خاصة الإمام، ذخيرة الدين، عمدة المؤمنين، كهف المستجيبين، عصبة المسترشدين، وولية أمير المؤمنين، وكافة أوليائه الميامين، أدام الله تمكينها ونعمتها، وأحسن توفيقها ومعونتها ...الخ".

ولم يطمع طامع في انتزاع ملك آل الصليحي مدة حياتها، فلما انتقلت إلى جوار ربها وجاء واثب يقال له **علي بن مهدي الحميري** - وكان في أول أمره واعظًا مرشدًا - فانتزع مملكة اليمن كلها من أيدي الصليحيين وغيرهم، واستبد بمملكة اليمن كلها، وساس الناس سياسة صارمة لا هوادة فيها، فكان يحكم بقتل المغنين، وقتل من لا يحضر صلاة الجماعة من جنده، وقتل من يشرب الخمر، وينتزع ما يملكه رعيته من مال، فصار

الناس يذكرون عهد السيدة الحرة بالإجلال والإكبار ويصفونه بعهد العدل والأمن والرفاهية.

وإنما أسهبنا بعض الشيء في تاريخ هذه السيدة؛ ليطلع القراء الكرام على ما كان للمرأة الصالحة في تاريخ العرب من مكانة ترتفع بها إلى أسمى الدرجات في العلم والأدب والسياسة؛ وليتعلم القارئات الكريمات أن البارعة منهن التي تتحلى بالفضائل وتتميز بكرائم الخصال، لا يمكن أن يحول الرجل بينها وبين ما تستحقه من مكانة، فدعوى أن الرجال هم الظالمون للنساء، أو النساء هن الظالمات للرجال، لا يؤيدها التاريخ ولا يقوم عليها البرهان، بل التاريخ يشهد على خلاف ذلك والبرهان يؤيد ما شهد به التاريخ.

فباب العلم مفتوح اليوم للنساء كما هو مفتوح للرجال، فما عليهن إلا يجلين في هذه الحلبة ليثبتن أنهن جديرات بالسبق إلى أعالي الأمور. ولابد لي أن أشير إلى أن العلم وحده لا يرفع من مكانة المرأة إن لم يرفعها خلقها الكريم وسجاياها الحميدة، فإذا جمعت المرأة بين المعارف الصحيحة والأخلاق الراجحة فقد جمعت بين الحسنيين، وكان لها الحق كل الحق أن تفوز بالإكرام والاحترام، وتفضل من هو دونها علمًا وخلقًا من الرجال والنساء على حد سواء.

مدنية العرب[1]

للمستشرق الألماني الكبير - هل -:

جوزيف هل: هو من أشهر المستشرقين الألمان، وأستاذ الآداب العربية في جامعة ارلنكن.

ولد في ١٤ نيسان سنة ١٨٧٥م في قرية (فلس بيورغ)، ودرس العلوم الإسلامية والعربية في جامعتي (ميونخ، وبرلين)، كما درسها أيضًا في الكلية الأمريكية ببيروت لمدة سنتين.

وفي سنة ١٩١١م تعين أستاذًا للعلوم الإسلامية والعربية في جامعة (ارلنكن)، وفي سنة ١٩٢٦م أصبح عميدًا لها، وقد قام برحلات علمية كثيرة في ربوع الشرق العربي، والشمال الأفريقي الغربي، منها سوريا، وفلسطين، وتونس، والجزائر، ومراكش، ثم ذهب إلى أسبانيا ودرس مكتبة الأسكوريال، كما بقي مدة طويلة في القاهرة يدرس كتب المكتبة الخديوية فيها، كذلك زار الأستانة ودرس فيها ما في مكتباتها من مخطوطات.

أما تاليفه التي نشرها هذا المستشرق العظيم بعد التاريخ المذكور، فهي ديوان الفرزدق، وكتابًا عن تاريخ حياة هذا الشاعر العربي، كذلك ألف كتابًا قيمًا عن الحركة الفكرية الإسلامية منذ عهد الرسول الأعظم ﷺ حتى وفاة

(١) مجلة البعث العربي، مجلة ثقافية يصدرها نادي البعث العربي (بغداد) العدد الثاني، السنة الأولى، ١ كانون الثاني ١٩٥٢م، ص١٦، ١٨.

الإمام الغزالي، وألف كتابًا آخر عنوانه (أثر المدنية الغربية على حاضر العالم الإسلامي)، وكذلك ألف كتابًا عن طبقات الشعر وصفوفه للشاعر العربي ابن سلام الجمحي، وفي سنة **١٩٢٦**م أصدر **تأليفه** القيِّم عن ديوان أبي ذوئيب، وفي سنة **١٩٣٣**م ألف كتابه المعروف ديوان الهذيليين الجديد، وكتابه هذا (مدنية العرب) الذي نضعه بين أيدي القراء والذي ألفه سنة **١٩١٨**م لا تستغني عنه أية مكتبة تتناول بحوثها العالم العربي، ويعد مآثره من مآثر العرب الخالدة، كما ويعبر عن الروح الطيبة التي يحملها هذا العالم الألماني الجليل تجاه الشعب العربي، وذلك ببحوثه العلمية غير المتحيزة والذي استنفذت معظم حياته ناشرًا علوم العرب في بلاد الغرب، وقد قام أحد المسلمين الهنود (خدا بخشت) بترجمة هذا الكتاب إلى الإنكليزية، ولكن الترجمة ظهرت بشيء من التصرف، فرأى الدكتور محمود حسين الأمين ضرورة نقل هذا إلى العربية فترجم فصوله عام **١٩٤٧**م، ولأسباب مالية وأخرى لا تسنح له بطبع الترجمة فقد ارتأى نشرها على صفحات مجلة البعث العربي بأعدادها المتعاقبة، ونذكر أن المترجم قد درس التاريخ الإسلامي بالإضافة إلى اختصاصه في جامعة برلين، وممن يجيدون اللغة الألمانية إجادة تامة.

بلاد العرب قبل الإسلام:

إن الباحث الحقيقي لمدنيات البشر جميعها هو الحاجة، فالناس وكلهم بحاجة إلى اللذة والقوة والجمال والحقيقة، وهي ضمن أفقها الواسع تشكل هذه الأهداف الأخيرة الناتجة عن الجهود البشرية التي هي العناصر الأساسية لأي تقدم أبدي، غير أن هذه الأهداف السامية تبقى كامنة وراء

حواجز تتقدمها حاجات مختلفة معينة لا يمكن التوصل إليها إلا بعد التغلب على تلك الحواجز تدريجيًا، فإذا ما تم التغلب بفتح الطريق إلى عالم جديد مملوء بالأهداف السامية، وهذا هو الطريق لكل مدنية، والحاجات تعني أهدافًا جديدة والسعي لتحقيقها معناه الاستعداد وتكوين القابلية للمدنية، والتوصل إليها معناه إيجاد المدنية وإيصالها لشعب آخر معناه نشر المدنية وتبليغ رسالتها.

وإن تاريخ مدنية شعب هو تاريخ حاجاته المتزايدة النامية، ثم العمل على تحقيق هذه الحاجات واستثمارها على أساس هذا الرأي، فإنه يمكن التحدث عن مدنية العرب وعن نشرهم رسالتها التاريخية، على أنه لا تستطيع القول بأن العرب أوجدوا من أنفسهم المدنية الإسلامية، أو انفردوا بحمل لوائها، أو أنه كان لهم القسط الأكبر في نشرها، ولكنهم هم الذين قدموا البواعث الأساسية التي بموجبها نشأت المدنية الإسلامية وتجاوزتهم إلى غيرها، ولو نظرنا إلى حاضر البلاد العربية (الجزيرة العربية) لصعب الاعتقاد بأن سكانها كانوا يومًا ما مبلغي رسالة ما.

أذكر أن هذه البلاد تعتبر من جملة **أصقاع المعمورة المجهولة، كذلك فإن شعبها يعتبر شعبًا منعزلاً لا تماس له ولا اتصال مع غيره، وكذلك فهو شعب مفكك العرى، مكون من قبائل متبدية تغزو بعضها بعضًا، يكاد روح الإسلام لم يمسسها بعد، ما خلا دويلات متناثرة، فسكان قلب الجزيرة يظهرون وكأنهم بعيدون عن بواعث المدنية ولا يشعرون بالحاجة إليها، يعيشون على نمط واحد، ولا تغيير في حياتهم ولا تبديل، مثلهم في هذا**

كمثل طبيعة بلادهم وصحرائهم القاحلة وبراريهم المجدبة.

ومع ذلك كله فإن هذا الشعب يثب في القرن السابع الميلادي، ويطغى سلطانه على العالم القديم بأسره، ولم يكن هذا للمرة الأولى في تاريخ البشرية، فلقد دلت التنقيبات والأبحاث التي أجريت في العصر الحاضر أن البلاد العربية التي تحتل دومًا المكانة الأولى في أدوار الشرق القديم، وكانت تلعب دورًا خطيرًا في تكوين مدنياته، فالاعتقاد السائد أن الجزيرة العربية كانت الوطن الأصلي لجميع الشعوب السامية، وكذلك فإن هناك حقيقة واقعية، وهي أن بلاد بابل مهد المدنية القديمة كانت تحكم في مستهل الألف الثالث قبل المسيح من قبل شعب سامي جاء من أواسط الجزيرة العربية، وكذلك فالكتابات الكثيرة التي وجدت على الصخور في مختلف مناطق الجزيرة تدل بوضوح على أن دولاً عديدة قامت في الأزمان التي سبقت المسيحية، وازدهرت فيها مدنيات لا تقل عن مدنيات الدول الأخرى التي جاورتها.

وتتلاشى الدهشة لهذه الحقائق المفاجئة عند التأكد من طبوغرافية الجزيرة العربية الغريبة من أنها لا تتكون من صحاري **وبوادٍ فقط، وإنما من مناطق خصبة أيضًا، كانت تزدهر منذ آلاف السنين بقرى ومدن عامرة ومزدحمة بالسكان.**

وأمثال هذه المناطق توجد على طول حدود قلب الجزيرة وأطرافه، ففي الجنوب الغربي منه تقع بلاد اليمن التي كانت تدعى منذ القدم بالبلاد العربية السعيدة، وتقع في الجنوب حضرموت البلاد التي كانت تمتاز بتجارة البخور، وتقع في شرق الجزيرة العربية بلاد الأحساء وهي شواطئ الخليج

العربي الخصبة، باستثناء بعض الأماكن فإن الساحل الشرقي للجزيرة العربية يعتبر خصبًا يسوده العمران، أما الساحل الغربي المكون من جبال وهضاب فهو فقير يقل فيه العمران، ومع ذلك فإننا نجد فيه اليوم مراعي خصبة، وقد كان فيما مضى أكثر خصوبة وعمرانًا منه في الوقت الحاضر، أما أواسط الجزيرة العربية المتشكلة من هضبة نجد وجبالها المعزولة، ومجاري شعبها الطويلة المسماة بالأودية والبراري والتي تسرح فيها أحسن الخيول العربية، وكذلك القسم الجنوبي الشرقي الذي يكون الجزيرة العربية أعظم مدخر للحبوب والمسمى (باليمامة) (الخرج)، كل هذه المناطق المذكورة تستطيع أن تعيش شعبًا، فقد كان بعض هذه المناطق في أواخر القرنين السادس والسابع الميلادي أحسن وأرقى بكثير من بعض البلاد الأوربية والألمانية في ذلك الوقت، ولا يقل البعض الآخر مدنية وثقافة عن هذه المناطق الأوربية المذكورة.

وإلى جانب هذه البقاع الخصبة الجيدة توجد بالطبع أراضي قاحلة نظرًا لقلة المياه فيها، الأمر الذي يؤدي إلى انعدام الحياة فيها وصعوبة النقل وتلك التي نسميها بالصحاري، ومن سوء حظ الجزيرة العربية أن هذه الصحاري تقع بين المناطق الخصبة، فتؤدي إلى انعزالها وعدم اتصالها مع الأخرى، ولذا فإن صحراء (الربع الخالي) أكبر صحاري الجزيرة العربية القاحلة تكره السكان العرب على الانحدار إلى السواحل الجنوبية والجنوبية الغربية، وتكون حائلاً متبعًا بينها وبين أواسط الجزيرة سكان منطقة **عمان** الواقعة في الجنوب الشرقي من الجزيرة وسكان **المهرة** الواقعة في الجنوب تمامًا يشكلون والحالة هذه شعبًا منفصلاً مستقلاً بذاته لا تمسه مطلقًا

التقلبات والتطورات التي تحدث في قلب الجزيرة العربية، فالصحراء القاحلة التي تشمل أواسط الجزيرة والتلال الرملية الممتدة على ساحل البحر الأحمر والتي تشكل منطقة هامة كانت من أهم العوامل الطبيعية التي جعلت سكان الزاوية الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية يبقون في أماكنهم بمعزل عن بقية الأقطار العربية نحو بضعة آلاف من السنين، ولكن هذه البقعة من البلاد العربية استطاعت أن تخرج من عزلتها خلال مدد متفاوتة، وتبسط نفوذها وتنشر ثقافتها ومدنيتها على كثير من الأقطار المجاورة لها، الأمر الذي يجعلنا نعطي لهذه الزاوية من الجزيرة العربية حقها الوافي من البحث لما لها من مدنية وثقافة، تعدان من أقدم وأعرق المدنيات والثقافات العربية.

إن الكتابات الكثيرة التي عثر عليها في أطلال اليمن خلال سبعين سنة المنصرمة والتي صارت تدرس حال اكتشافها بجد ونشاط، تقدم لنا بالرغم من عدم الانتهاء من دراستها - التي قد تستغرق زمنًا طويلاً - معلومات عن قيام دولتين فيها في الزمن الذي سبق المسيح، وزعزعت الاعتقاد السائد بأن هاتين الدولتين عاشتا جنبًا إلى جنب حتى العصور اليونانية المتأخرة.

فقد أثبت العالم الأثري (أدور كلازر) أن دولة سبأ قضت على دولة معين وخلفتها في الحكم على بلاد اليمن، ومع إن الاختلاف في الرأي على الصلات الزمنية بين الدولتين لا يزال موجودًا لدى العلماء والمؤرخين، فإن ذلك لا يمنع من القول بأن دولة معين ترجع في القدم إلى أواسط الألف الثاني قبل المسيح؛ لأن الشروط الضامنة لبقائها هذه المدة الطويلة ظلت على حالها بدون تغيير مدة تقارب الألف سنة، فمنتوجات بلادها التي كانت مرغوبة في مصر، ولاسيما البخور منها والمر، وموقعها على الطريق

بين الهند ومصر، جعلت من هذه البلاد دولة تجارية، وقد أكدت ذلك الوثائق التاريخية، فقد جاء في أقدم أخبارها أن **سلطات** هذه الدولة امتد إلى مدينة (غزة) الواقعة على البحر المتوسط، وكونت لها قواعد عسكرية، وأماكن لصنع الأسلحة، ومحطات تجارية على طول الطريق المؤدية إلى البحر المتوسط.

أما دولة سبأ فإنها لم تختلف بشيء من هذه الناحية عن دولة معين، سوى أنها أسرعت إلى الاضمحلال عندما أخذت اليمن تفقد أهميتها ومكانتها في التجارة العالمية.

فقد ضعفت صلات **السبئيين** التجارية في بادئ الأمر مع الشمال؛ وذلك على أثر استيلاء البطالسة على المواصلات التجارية في البحر الأحمر، ولكن مع ذلك فقد بقيت سبأ تمون المعابد المصرية الرئيسية بالبخور، كما ورد ذلك في عصر النصوص التاريخية من عصر البطالسة.

لقد كانت ثروة دولة سبأ تمتاز بشهرة عالمية، كما كانت تمتاز بقوتها أيضًا، إذ ثبت بوجه (اليوس كاللوس) قائد القيصر الروماني (أغسطوس)الذي ارتد مرغمًا على أعقابه أمام أسوار مأرب الحصينة بعد أن تغلغل في داخل اليمن وأحرز بعض الانتصارات في الابتداء.

وأخذت دولة سبأ تهبط من عليائها شيئًا فشيئًا، وتهوي إلى الحضيض حتى دالت واضمحلت، وتلك نهاية تضيق لحد اليوم معلوماتنا التاريخية عن معرفة الأسباب الأخيرة التي أدت إلى زوال هذه الدولة، ويقول العرب: إن سبب انهيارها يرجع في الغالب إلى انهيار سد مأرب الذي إنهم يحاولون ربط هذا المصير بالنخر الذي أصاب السد العظيم.

وكذلك بقيت اليمن بعد هذا الانهيار أكثر البلاد العربية تماسًا مع الدول القوية وأكثرها طمعًا، فقد تنافست الدول المتمدنة الكبرى للاستيلاء عليها بنشر مذاهبها ومبادئها بين سكانها.

وكانت الحبشة التي اعتنقت المسيحية منذ القرن الرابع الميلادي أولى هذه الدول التي طمعت في حكم اليمن، وتمكنت من الاستيلاء عليها ولكن بمساعدة **البيزنطيين**، غير أن اليمانيين من عرب وثنيين ويهود كثيرين تكتلوا ضد السيطرة الأجنبية، والتفوا حول حكومة الملك ذي نوّاس سنة **٥٢٠**م.

وكما كان نجاشي الحبشة المسيحي يلتمس المساعدة والقوة من بيزنطيا، كذلك فإن حكومة اليمن العربية كانت تطلب المساعدة من فارس الدولة الوثنية القوية وتلتمس حمايتها.

وفي ذات مرة أرسلت بيزنطيا بواخرها لنجدة الأحباش في حربهم الطاحنة مع اليمانيين وانتهت بانتصار النصرانية وجعل اليمن مقاطعة حبشية من جديد، غير أن الفرس لم يحولوا طمعهم عن هذه الزاوية الغنية من الجزيرة العربية وظلوا يتحينون الفرص لابتلاعها، ففي سنة **٥٧٠**م وجدوا الفرصة سانحة لغزو اليمن، وانضم سكان اليمن المستاؤون من حكم النصرانية الدخيلة إلى الجيش الفارسي وطردوا الأحباش والنصرانية للمرة الثانية من جنوب البلاد العربية، ولكن لقاء ذلك بقي الفرس في البلاد أسيادًا وأخذت اليمن تدار من قبل عامل فارسي على غرار الحكم الإداري في فارس، غير أن الفرس لم يحكموا البلاد حكمًا استبداديًا أو يهتموا بإدارتها فقد كان همهم الوحيد التمتع بخيرات البلاد وثرائها فقد تركوا الشعب لا يشعر بسلطة أجنبية مما أدى إلى رضوخ اليمانيين إلى مصيرهم

هذا ووضعهم الجديد وتدهور العقيدة القومية والشعور الوطني.

يتضح مما تقدم[1] أن اليمن كانت مدخلاً تنفذ منه الدولتان العظيمتان روما الشرقية وفارس إلى الجزيرة العربية، إذ الشمال يحول دون تأثير ذلك لوجود الصحراء السورية العربية (بلاد الشام) التي تمتد كالسهم بينها ثم تحيط إلى جنوب الجزيرة بشكل كماشة تصطاد كل جسم غريب.

ومع هذه الحصانة الطبيعية لبلاد اليمن وقابليتها التمدنية، فإن بيزنطيا وفارس الدولتين المتمدنتين لم تستطيعا التأثير عليها ثقافيًا وطبعها بطابع مدنيتهما، فإن ما نجده في اليمن من مدنية هي من نتاج مدنية عريقة منبعثة عن اليمانيين أنفسهم، وإنه لمن المؤسف أن تكون معلوماتنا عن هذه المدنية ناقصة غير مرتبطة، ولكن ما نعرفه يكفي ليؤكد لنا قيام مدنية في اليمن كهذه التي نحن بصددها، أما نشوء هذه المدنية وتكوينها ونموها واتساعها خلال أدوار تاريخية محدودة فستنيرها لنا البحوث العلمية المقبلة.

إذا اعتبرنا المقاييس الزمنية أساسًا لتمدن الشعوب وجب علينا سرد الحقيقة التالية وهي أننا كلما تعمقنا بمعلوماتنا في بطون التاريخ القديم لا نجد بأن العرب كانوا في دور من أدواره شعبًا متوحشًا، وأننا نجد العرب دائمًا منظمين إلى مجموعات وتشكيلات قبلية يتمتع الفرد فيها بحق حماية المجموع، وانضمام عدد من القبائل إلى بعضها وتشكيلها قبيلة واحدة وقوية تعتبر من أقدم تشكيلات الدولة من دون محو وعي الانتساب القبلي أو

(١) ترجمة الدكتور محمود حسين الأمين، مدير المباحث الآشورية في مديرية الآثار القديمة، مجلة البعث العربي، العدد الخامس، السنة الأولى، ١٥ شباط ١٩٥٢م، ص١٠، ١٢.

النعرة القبلية، ويتقلد أعلى منصب في دولة كهذه الملك، وإن معلوماتنا مقتضبة عن كيفية توسع هذه السلطة الملكية ورقعة نفوذها، ويمكننا أن نقول بوجه الإجمال بأن حرمة الملك في الأزمنة القديمة كانت مرتبطة بالمهمة الدينية بصفته الكاهن الأعلى، وقد كان سلطانه على الشعب في بادئ الأمر يتوقف على مقدار ما يكنه الشعب من احترام وتقدير لشخصيته، وتوسع مدلول الملكية في الأزمان السبئية المتأخرة فأصبح معنى الملك يعرف ويفسر بسيد يسود أتباعًا، كما نجده في هذا العصر يملك أراضي واسعة بشكل إقطاعيات، وأصبحت تضرب باسمه النقود من الذهب والنحاس والفضة، فتحمل في وجه صورة الملك وترسم على الوجه الثاني رموزه، (إما صورة بومة أو رأس ثور أو ما يشبه ذلك)، وقد عثرنا على كميات كثيرة من هذه النقود التي تجلب انتباهنا من جديد عما لدينا من المعلومات القليلة حتى يومنا هذا عن تطور المدنية في بلاد اليمن، كذلك ترينا هذه النقود شدة تأثرها بالنقود اليونانية ومن بعدها بالنقود الرومانية، فقد قلد اليمانيون بصنعها اليونان والرومان هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإنها تطلعنا على صور الملوك اليمانيين وعلى صناعة الضرب عندهم والقيمة الفنية لرسم النقود وزخرفتها، وبذلك يمكننا أن نلقي نظرة قصيرة على ناحية من تطور المدنية عند عرب الجنوب، فنحن نرى أن هذه النقود كيف أن الملوك في الزمن القديم كانوا يظهرون بزي الشعر العربي الذي كان يمثل باسترسال شعر الرأس على الأكتاف ويترك لينمو طويلاً على طبيعته، ومن بعد أخذ شعر الرأس يضفر بصورة ضفائر وأخيرًا أخذ يقص على هيئة شعر الرأس عند قياصرة الرومان.

كذلك يوجد تطور في فن الرسم لا يمكن إغفاله وهو أن النقود القديمة تمتاز على الأخص بدقة الصنع والتناسق ومهارة فن الرسم، ومن الغريب أنها تظهر في مستوى واحد مع النقود التي ضربت في الدور المتأخر، وتتشابه معها حتى بدقائق الصنع ومهارة الزخرفة على حين تظهر مجموعة النقود التي تتوسط هذين الدورين بصناعة رديئة تبوح بسر تدهور قابلية الرسم والزخرفة في هذا الدور، ولقد بقيت صناعة الضرب ضعيفة في جميع الأدوار التاريخية في اليمن.

وكما تلقي النقود ضوءًا خاطفًا على تطور الملكية في اليمن، كذلك يوجد هناك ما ينير لنا الطريق إلى أهم ناحية من نواحي المدنية البشرية ألا وهي الناحية الدينية، فلقد وجد في كتابات عرب الجنوب عدد كبير من أسماء الآلهة تفصح عما كان للدين من منزلة كبرى وأهمية خطيرة في حياة الدولة في اليمن، ولكننا لا نعرف كذلك شيئًا عن كيفية ظهور هذه الآلهة وخواصها وصفاتها الرئيسية، وكل ما نعلمه عنها أنها كانت في الأصل أحجارًا، ولقد انطلقنا من مضمون التضرعات، ومراسيم القرابين، وترتيلات الحمد المعروفة، أن عرب الجنوب كانوا لا يعتقدون بالحياة والبعث بعد الموت والسعادة الأخروية، وهذا ما حدا بالباحث (بلنيوس) إلى القول: بأن وجود المعابد في جنوب الجزيرة بهذه الكثرة الهائلة ليس ناتجًا عن تأثير الدين العميق لدين سكان اليمن، وإنما هو دليل على شدة تنفذ رجال الدين، وعما لدين عرب الجنوب من حاجة معينة إلى الفن والعمران.

والحقيقة أن الزاوية الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية هي البقعة الوحيدة في الجزيرة التي نعثر فيها على أقدم نتاج للفن والعمران.

فطبيعة البلاد تقدم أحسن مواد البناء مثل حجر الكرافيت والرخام الأحمر (البروفير) والرخام العادي، ولقد ألجأت القبائل البدوية في المناطق المجاورة - والتي ديدنها السلب والغزو - سكان اليمن إلى بناء البيوت المحكمة وبشكل الأبراج والقلاع، وبهذه الواسطة تحولت اليمن إلى بلد تغمرها القلاع والقصور المنيعة، ولا تزال آثارها وأطلالها شاخصة اليوم بكثرة تدل على ما كان يتصف به القوم من حب ورغبة ببناء المباني الضخمة، **فقصر غمدان** الذي بني بشكل برج شامخ مكون من عشرين طابقًا، ومعبد مأرب الذي بنيت أسواره بشكل أهليجي تمتد على طول أرضه المتموجة بارتفاع تسعة أمتار ونصف، وكذلك سد مأرب الذي شاهد الرحالون بقاياه، فهذه الآثار كلها شواهد صدق على تطور هذه الأبنية، وهي وليدة الأحوال والظروف وناتجة عن وفرة مواد البناء التي تتراءى لنا حتى في يومنا هذا، فإننا نجد في مظاهر المدنية الأخرى محاولات قام بها عرب الجنوب لتصوير روحيتهم العقلية بأشكال مثبتة تعبر عما كان يدور في خلد القوم من آراء وما كان لديهم من ثقافة.

فقد فاجأتنا أقدم الكتابات الصخرية المعروفة لدينا والتي قد يرجع عصرها إلى الألف الأول قبل المسيح، بتناسق الخط ووضوحه وبالزخارف التي تحيط بكثير من هذه الكتابات، فترينا موجة من الفن يحلو لنا بموجبها أن نعتقد بما قاله الهمداني الجغرافي العربي عن زخارف واجهات المعابد والقصور في جنوب الجزيرة.

وإن أحسن الدلائل عن فن البناء لا نشاهدها في اليمن وحضرموت فقط، وإنما في شمال الجزيرة عند حدود الصحراء السورية في جبال

حوران، حيث هاجر قسم من سكان جنوب الجزيرة عندما ساءت اقتصاديات بلادهم، ويمكننا أن نعتبر هذا الإتقان المدهش في بناء البيوت من الحجر والرخام وأشكال الزخرفة التي عليها مقدمة لتطور ذوق العرب في الفن الذي جاءوا به فيما بعد، مع العلم بأنه ليس هناك ما يثبت وجود صلة تاريخية بين هذه المباني والفن الإسلامي الذي خلفها.

أما شمال الجزيرة العربية فقد كانت له منذ أقدم الأزمان تشكيلات حكومية، تضيق معلوماتنا عن عراقتها في التاريخ، ولا نعرف عن بعضها سوى أسمائها كدولة مصر وميلوخ[1] ومجان[2]، ويظهر أن هذه الدول انقرضت قبل التاريخ المسيحي نتيجة التنافس والتناحر فيما بينها.

ولكن تجاه ذلك هناك دولتان أخريان بلغتا أوج العظمة وعاشتا كدولتين تجاريتين، وهما دولة الأنباط التي امتد سلطانها في الفترة الواقعة بين ٢٠٠ سنة قبل الميلاد وسنة ١٠٠م إلى قلب الجزيرة العربية ثم دولة تدمر (بليمرا) التي خلفت دولة الأنباط وعاشت حتى سنة ٢٧١م عندما قوض أركانها القيصر الروماني أورليان.

وإننا إذا سمعنا عن وجود دولة عربية خاصة، وعن ملوك بني لحجان أو نطلع على نص لامرئ القيس كتبه سنة ٣٢٨م ويقول فيه بأنه لبس التاج وحكم أسدًا ونزارًا وملوكهما، فذلك لا يكفي للبرهنة على نضوج العرب

(١) الأرض ميلوخا: إذ وردت في نصوص حملات ملوك وادي الرافدين وتقع على الخليج العربي عمان اليوم.

(٢) إن الاسم الحقيقي هو معان وليس مجان كما ذكر المؤلف، فقد ورد الاسم كثيرًا في الكتابات السومرية والبابلية والآشورية، وذكرت هذه الدولة في حملات ملوك وادي الرافدين الأقدمين.

إلى حياة الحكم المنظم أو إنهم نظموا أنفسهم إلى درجة يمكننا أن ندعوها دولة، وإنما قلد العرب ألقاب ملوك دولتي فارس وبيزنطيا المتمدنتين وتشبهوا بأبهة الملك عندهم على أثر احتكاكهم بهاتين الدولتين المذكورتين الواقعتين في الشمال الشرقي والشمال الغربي من الجزيرة العربية، أما شكل هذه الدويلات العربية وكيفية تكوينها فإننا نجدهما في دولتين تشكلتا في شمال الجزيرة العربية قبيل بعثة محمد، وذلك بمثابة سد لكل من فارس وبيزنطيا.

أما الدولة التي أسست سدًا أمام الإمبراطورية الفارسية هي **دولة الحيرة**، وكانت تشمل بقعة طويلة ضيقة، ودعيت باسم **مقر الحكومة**.

وقد كانت مدينة الحيرة التي وصفت في الأشعار والقصص وصفًا خلابًا بلا شك مركزًا لمدنية معينة، ومن الصعب أن تكون مدنية عربية، وإنما مدنية مستمدة من المدنية الفارسية.

أما الدولة التي كانت مشيدة أمام الإمبراطورية البيزنطية فهي الدولة العربية النصرانية المسماة **بدولة الغساسنة**، والتي لم يكن لها مركز معلوم، وإنما كانت تتكون من معسكرات ثابتة اعتبرت مركز الحكومة، وكان رؤساؤهم يدعون لدى البيزنطيين بالأمراء، ويدعى لدى العرب بالملوك.

وبالرغم من أن هذه الدولة كانت فقيرة من ناحية التنظيم، فإنه لا ننكر أنه كان لها أثر مهم في تاريخ الجزيرة العربية، وكلتا الدولتين المتاخمتين للجزيرة العربية كانتا أجيرتين لدى الدولتين العظيمتين، وكانتا تشتركان في المعارك الكثيرة التي تقع بين الفرس والبيزنطيين وبهذه الواسطة كانتا تقفان على مواطن الضعف لدى الدولتين الكبيرتين أثر الانتصارات التي تقع بينهما

سجالاً، كما وقفوا على رقي المدن الفارسية ومدن بيزنطيا وثرائها أثر تأثيرًا بينًا في قلوب العرب للإغارة على هذه المدن والتنعم بغناها والتلذذ بحياتها، فكانت مهمة هاتين الدولتين العربيتين العمل على منع الجيوش العربية التي قد تتحرك يومًا ما من بطن الجزيرة العربية عبر الحدود لتظفر بخزائن مدن فارس وبيزنطيا.

ومع ذلك فقد قام العرب بهذه المعادلة قبل ظهور الإسلام، ففي المنتصف الثاني من القرن الخامس الميلادي استطاعت قبيلة كندة القاطنة في أواسط الجزيرة العربية الحصول على نوع من السيادة بسطت بموجبها سلطانها على قبائل أخرى وتمكنت من تكوين اتحاد من الدويلات العربية بشكل بدائي، بالطبع تحت قيادة عدد من الملوك العرب، ففي سنة **٤٨٠**م قام أحد الملوك المتضامنين واسمه **حجر** على رأس قوات قليلة العدد بهجوم اكتساحي على مدينة الحيرة، ولكن محاولته هذه باءت بالفشل، كنتيجة لذلك فقد توفق الملك الحارث بهجومه على فلسطين سنة **٤٩٦**م فاستولى عليها، إلا أن (أناستاسيوس) قيصر بيزنطيا بذل مبالغ طائلة لإخراج هؤلاء الدخلاء منها والتخلص منهم، وقد شجع هذا الانتصار الحارث فدفعه إلى الهجوم على الحيرة والاستيلاء عليها، ولكن سلطانه أخفق في تحقيق طلبه، وفي اللحظة التي يتخلى التوفيق عن الملك الحارث، تخلى عنه أيضًا حلفاؤه الكنديون فخانوه، فأعدم الملك الحارث من قبل أعدائه سنة **٥٢٩**م، ومنذ ذلك الحين أصبح الحلف الذي كونه الكنديون - بنو كندة - لا قيمة له وصار أحفاد الحارث يهتمون كثيرًا بأبهة الملكية.

ولم يكن قلب الجزيرة العربية في مستهل القرن السابع منظمًا حكوميًا

حتى ولا ظاهريًا، والأغرب من ذلك أن هذا القسم من البلاد العربية المترامي الأطراف والذي يبعد كثيرًا عن تأثير ثقافة الدول المجاورة يصبح مركزًا لانبعاث الدعوة الإسلامية الكبرى، وإنّ العوامل النهائية والمسببات الجوهرية لهذه الدعوة لم تكن دينية وإنما اقتصادية محضة، وقد تأكد من صحتها العقول في يومنا هذا.

أما تفاصيل هذه البواعث على انفراد فلا تزال مجهولة، وهناك فرضية سديدة معقولة تنص على أن الجفاف المتزايد الذي حلّ بالجزيرة العربية كان الباعث الأصلي إلى هجرة الشعوب العربية، والذي قد يكون السبب الجوهري الذي له علاقة بنشأة الإسلام فقاده إلى إحداث الانقلاب الخطير في تاريخ العالم.

تاريخ البعثات العلمية إلى جنوب الجزيرة العربية[1]

- ١ -

للعرب أن يفتخروا بمدنية زاهية قامت في جنوب بلاد العرب قبل الإسلام بمئات السنين، ولكن تاريخ هذه المدنية بقي أجيالاً عديدة مجهولاً، وكانت معلوماتنا عن معالمها لا تتعدى إشارات مقتضبة في أسفار التوراة القديمة، وبعض الأساطير الواردة في التواريخ الكلاسيكية (اللاتينية واليونانية)، عن غنى بلاد العرب السعيدة بالحجارة الثمينة والتوابل والبخور، وهنالك مصدر آخر هو الهالة الخرافية التي حاكها التقليد العربي المتأخر حول القصور والقلاع والآثار العظيمة في بلاد اليمن وحضرموت، والأخبار العربية لا يوثق بها: أولاً لأنها لا ترجع إلى أبعد من القرن الأول والثاني قبل الإسلام، يدلك على ذلك أن العرب لم تذكر مملكة (**قتبان**) **ولا مملكة** (**ريدان**)، ولا مملكة (**معين**)، إنما يذكرون (**حمير**) التي كانت آخر مملكة قامت في جنوب بلاد العرب قبل الإسلام، وثانيًا: لأن الأخبار العربية أشبه بقصص خرافية كانت تتداولها الناس من قبيل السمر والتسلية، ولكن مما لاشك فيه هو أن هذه الإشارات المقتضبة في التوراة، والمصادر اليونانية اللاتينية، والأساطير العربية، تدل على حقيقة واحدة وهي إن المدنية التي قامت هناك كانت رائعة

(١) الدكتور أنيس فريحه الأستاذ في ثانوية النجف، مجلة الاعتدال (تبحث في العلم والأدب والتاريخ والاجتماع)، العدد الثاني، السنة الخامسة، تشرين الثاني ١٩٣٩م، ص٤٣٣، ٤٤١.

وراقية، إلى حد أن أخبارها ظلّت أجيالاً مدار حديث الناس إلى أن جعل تقادم العهد منها خرافات وأساطير لا يستطيع العقل أن يقبلها.

ولكن لنا الأمل الوطيد أن لن يمضي وقت طويل قبل أن نتمكن من كتابة تاريخ جنوب الجزيرة كتابة مبنية على أوثق المصادر أعني النقوش التي جمعت في القرن الأخير، وفي هذه العجالة سنأتي على ذكر أهم البعثات التي أرسلت إلى جنوب الجزيرة لجمع النقوش وتصوير الآثار ووصف البلاد، ويجب أن نذكر هنا أن الحافز على بعث هذه البعوث كان يقين قسم كبير من المستشرقين أن قلب الجزيرة وجنوبها يكتم أسرار أصول جميع الحضارات السامية، وطبيعي أن يكون لدرس تاريخ التوراة في العالم الغربي المنزلة الأولى، وشعر أكثر من واحد من جماعة المستشرقين أن فهم تاريخ العرب قبل الإسلام، وفهم المدنية التي قامت في اليمن يساعد كثيرًا على فهم المدنية العبرية؛ لأن جميع الشعوب السامية إنما هي موجات خرجت من الجزيرة واستوطنت الهلال الخصيب، وبعد أن نأتي على ذكر هذه البعثات نذكر شيئًا عن لغة النقوش وعن تاريخ الممالك التي قامت هناك.

نيبور:

حوالي منتصف القرن الثامن عشر رحل طالب دانمركي واسمه (كريستيان فون هافن) إلى جامعة (كوتنغن) في ألمانيا لدراسة العلوم الشرقية على يد أستاذها ميخائيل، وكان هذا الأستاذ ميخائيل يعتقد أن بعثة توفد إلى جنوب بلاد العرب تعود على علم المشرقيات بكثير من الفائدة ولاسيما في علوم التوراة، فكتب إلى ممول دانمركي محب للأدب والتاريخ، واسمه الكونت برنشتوف يلفت نظره إلى هذه المسألة وطلب إليه مد يد المعونة

للقيام برحلة إلى بلاد العرب السعيدة، وقد لاقى هذا الاقتراح عند الكونت آذانًا صاغية فتقدم إلى ملك الدانمرك فريدريك الرابع راجيًا منه أن يرسل جماعة من العلماء إلى بلاد العرب وهو يقوم بنفقاتها متعاونًا مع صديق آخر ممول اسمه الكونت مولتكي، فأمر الملك بتشكيل بعثة من العلماء، وفي أواخر سنة ١٧٦٠م تألفت البعثة الأولى من خمسة أشخاص هم **المستشرق كريستيان فون هافن، وأستاذ العلوم الطبيعية بطرس فورسكال، والملازم كارستن نيبور، والطبيب كارل كريمل، والمصور الرسام جورج وليم بورنفيند.** وفي الرابع من كانون الثاني سنة ١٧٦١م أقلتهم بارجة حربية دانمركية إلى أزمير فالإستانة، ومن هناك إلى مصر ثم إلى اليمن حيث عزموا على البقاء هناك بضع سنين، ثم يعودون بطريق البصرة فحلب فأوربا.

وصلت البعثة سالمة اليمن حوالي ٢٥ كانون الأول من سنة ١٧٦٢م، ولكن في شهر أيار من السنة التالية مرض المستشرق كريستيان فون هافن بحمى استوائية خبيثة توفي على أثرها، وذلك في مدينة (مخا) حيث لا يزال قبره هناك في المقبرة الألمانية. أما الطبيعي فورسكال فقد مات في (يريم) وهم في طريقهم إلى صنعاء. وقبل موته حاول أن يتسلق جبل (**صبر**) الذي يعتقد العرب على أن في قمته يجد الإنسان جميع نباتات الأرض، أما الباقون فقد وصلوا صنعاء حيث أحسن إمامها استقبالهم وضيافتهم وبعد مدة قصيرة شرعوا في سفرتهم عودًا إلى (مخا) ومن هناك إلى بومباي، وأثناء السفرة البحرية توفي بورنفيند (١٧٦٣م)، وأما كريمر[1] فقد مات في مدينة بومباي

(١) لعله كريمل المذكور مع أفراد البعثة سابقًا وقد يكون الخطأ هناك وليس هنا بمعنى أن اسمه كريمر.

من جراء داء عضال انتابه، أما نيبور فبعد أن فقد أربعة من رفاقه عزم على إتمام سفرته حسب الخطة التي رسموها قبلاً ووصل كوبنهاغن سنة ١٧٦٧م.

أما قيمة هذه السفرة العلمية فقد كانت عظيمة؛ لأن وصف الرحلة الذي ضمنه نيبور في مجلدين (ظهر المجلد الثاني بعد وفاته) لا يزال إلى يومنا هذا أفضل مرجع يرجع إليه في دراسة اليمن، هذا عدا عن وصف الخرائب والنقوش التي شاهدها في بلاد الرافدين.

نعم إن بعثة نيبور لم تحمل إلى أوربا نقوشًا عربية جنوبية، ولكن ملاحظات نيبور في كتابه ووصفه للأماكن ورسمه للخرائط دال فيها على أماكن مجهولة في بلاد العرب السعيدة، جميع هذه بقيت موضع إعجاب الذين تتبعوا آثاره فيما بعد، وحسبما نعرف كان نيبور أول أوربي رأى نقوش حميرية، فإنه في ص٩٣ من كتابه يقول: "إنه بينما كان مريضًا طريح الفراش من جراء حمى أتاه هولندي مقيم في اليمن - وكان هذا الهولندي قد أسلم - وأراه نقشًا مكتوبًا بأبجدية مجهولة تمام الجهل"، ثم يقول: " لاشك عندي إن في الأماكن الجبلية بين تعز وصنعاء وتهامة يقدر المرء أن يجد نقوشًا بالخط الحميري، وعندما أراني الهولندي هذا النقش كان همي إذ ذاك أن أعد نفسي لملاقاة ربي لا أن أجمع نقوشًا مجهولة، وهكذا ضيعت الفرصة السانحة لأنسخ النقوش التي ذكرها لي، وإذا كانت ذاكرتي لم تخني بعد أقول: إن حروف هذا الخط كناية عن خطوط عمودية مستقيمة (أي مسند)". انتهى كلامه. وبما أن عدد النقوش الحميرية التي لدينا اليوم يقرب الألفين، وبما أننا نعرف الخط الحميري فيحق لنا أن نقول: إن نيبور أول أوربي رأى النقوش الحميرية ووصفها لنا.

ملاحظة: زار اليمن قبل نيبور أوربيون ولكنهم لم يذكروا لنا كثيرًا عن النقوش أو الآثار، ففي سنة ١٥٠٨م نزل على شاطئ عدن نوتي إيطالي اسمه **لودو فيكو دي يرتما** واعتقل وسير به إلى السلطان وحبس زمنًا ثم أخلي سبيله، وعند رجوعه كتب وصفًا لرحلته، ولكنها كانت تدور حول اختباراته الشخصية، وأيضًا سنة ١٧١٢م رست في البحر مقابل (مخا) باخرتان فرنسيتان حربيتان، وكان حاكم اليمن وقتذاك شيخًا هرمًا مصابًا بألم في أذنه، وعندما سمع بنزول أوربيين في بلاده أرسل إليهم أن يوفدوا إليه طبيبًا، فاغتنم القبطان هذه الفرصة وسير إليه رهطًا من رجاله يصحبهم طبيب، وبقوا في ضيافة السلطان أيامًا وعادوا ووصفوا لنا البلاد وصفًا اجتماعيًا فقط.

الدكتور أولرخ ستزن:

هو أول من عثر على النقوش التي ذكرها نيبور، فإنه أثناء صيف ١٨١٠م سار من مدينة الحديدة قاصدًا صنعاء وكان الجو السياسي مكفهرًا جدًا، ومن صنعاء سار جنوبًا، وفي طريقه أتى على خرائب نسخ عنها خمسة نقوش حميرية غير جلية، وذلك بالقرب من ظفار عاصمة حمير القديمة، فأخذها ورجع إلى (مخا) سالمًا مارًا بعدن، وكان قد جمع نماذج من حشرات وأفاع ونباتات محفوظة في الكحول فحسبه الناس ساحرًا مشعوذًا، وعندما حاول ثانية الرجوع إلى داخلية البلاد للتفتيش عن النقوش انقطع خبره ولم يعثر له على أثر. وقد سرت إشاعة أن العرب قتلته بالقرب من مدينة تعز، ولكن إشاعة أخرى تقول إنه وصل صنعاء وهناك سمم له

فمات. على كل وصل إلى أوربا بعض أوراقه التي دون عليها ملاحظاته مع النقوش الخمسة التي نسخها ونشرت في المجلة الألمانية الآسيوية.

البعثة الإنكليزية لمسح شواطئ الجزيرة العربية:

في سنة **١٨٣٠**م أرسلت إنكلترا بعض بوارجها لقمع حركة القرصان ولمسح الشواطئ. ولا ندري أكان السبب الحقيقي عبث القرصان بالأمن أم رغبة الإنكليز في معرفة الشواطئ تمامًا. على كل توجه اثنان من أعضاء الحملة هذه **هلتن وكروتندن** إلى صنعاء، أما الأول فمات على الطريق، ووفق الثاني إلى نسخ خمسة نقوش من صنعاء نفسها نشرت مع وصف السفرة.

ولكن هذه البعثة درست البلاد الواقعة بين اليمن وحضرموت درسًا أدق، وفي أثناء مسحهم هذه البقعة اكتشف القبطان **ولستد** سنة **١٨٣٤**م (حصن الغراب) على الشاطئ شرقي بالحاف (لم أتمكن من التحقق من صحة هذا الاسم ولكن هكذا وردت كتابته باللغة الألمانية) وعلى الصخور السوداء التي قامت عليها القلعة وجد ولستد نقوشًا محفورة في الصخر أهمها وأعرفها نقش طويل مؤرخ سنة **٦٤٠**م يعرف بنقش **حصن الغراب**. وفي السنة التالية لهذا الاكتشاف ترك ولستد بارجته في **خليج قبة العين** وسار مع رهط من رجاله نحو وادي **ميفعة** شمالي الخليج المذكور، وبعد مسير يومين وصلوا إلى بقعة خصيبة جدًا فيها آثار حصون أو قلاع أو مدينة فخمة مبنية من قطع حجارة ضخمة، أما الاسم الحالي لتلك البقعة فهو (نقب الحجر)، ولكن الاسم القديم يجب أن يكون (ميفعة)؛ لأن في أحد النقوش

التي نسختها البعثة وجد هذا الاسم (ميفعة)، والبدو تسمي ذلك الوادي وادي ميفعة. (يذكر هذا الاسم ياقوت).

إن نتائج هذه السفرة أتت دليلاً آخر على أن مدنية زاهية قامت في البقاع الخصيبة التي تمتد نحو داخلية البلاد رغم أن الصحاري الحالية الجافة تنكر علينا إثبات نظرية كهذه، ويرجح أن هذه القلاع والحصون التي اكتشفت هناك كانت مسالح لحماية التجارة بين الداخلية وبين ميناء (كين) المشهور الوارد ذكره كثيرًا في المصادر الكلاسيكية، وهذا الميناء الذي لا أثر له الآن يجب أن يكون موقعه بالقرب من حصن الغراب.

في سنتي ١٨٣٦م و١٨٣٧م نسمع عن مبشر اسمه **ولف** وعن آخر، عالم نباتي اسمه **بوتا** زارا اليمن، ولكن نتائج سفرتهما لم تزد في معلوماتنا كثيرًا ولم تأت بنقوش جديدة.

ادولف فون فريدة:

في سنة ١٨٤٣م ترك هذا السائح الألماني ميناء المكلا، وسار شمالاً مسيرة سبعة أيام، وأخيرًا أتى إلى واد شبهه بالفردوس في خصبه وجماله، وهذا الوادي يسمى **وادي دوعن**، وقد مر على جملة بقاع غاية في الخصب في داخلية حضرموت، وأخيرًا أتى إلى شرقي سهل ميفعة حيث وجد **وادي الابنا** وهناك عثر على نقش حضرموتي نشر **بنقش الابنا**.

الصيدلي توماس يوسف ارنو:

رافق هذا الفرنسي وفدًا تركيًا موفدًا إلى صنعاء كطبيب، وعندما وصلوا صنعاء ترك ارنو رفاقه وسار وحيدًا شرقًا، وفي أيامه كان لا يزال هناك أثر

ضئيل لتجارة القوافل بين مأرب وصنعاء. ولكن قديمًا كانت مأرب من أخصب البقاع ونظام الري فيها عجيب، وكانت تجارتها واسعة رائجة. التحق ارنو بقافلة صغيرة دفع لأميرها بعض المال لحمايته أو لحمله على إبلهم، والمسافة بين صنعاء ومأرب ستة أيام. ومأرب الحالية كناية عن بلدة صغيرة كل ما فيها يدل على فقر وتأخر، ولكن آثار السد (سد مأرب) الشهير لا تزال شاهدًا على عظمة هذه المدينة العظيمة التي لعبت دورها في تاريخ جنوب الجزيرة عندما كانت عاصمة سبأ. وقد احتفى به أمير مأرب، وأفسح له المجال لكي يتفقد آثار المدينة وسمح له أن يرسم على الورق خطط المدينة القديمة التي يظهر إنها كانت على شكل دائرة، ولا يزال هناك آثار هيكل قديم يسميها البدو (حرم بلقيس)، ولكن النقوش تدل على إن هذه الآثار كانت معبدًا فخمًا لإله **سبأ المقاه أو الموقة** (ولا ذكر لهذه الآلهة في التقليد العربي، ومن المؤسف إن الخط الحميري أي المسند تنقصه الحركات ولا نستطيع أن نتثبت من صحة اللفظ تمامًا قد يكون المقاه أو الموقة).

ولم يكن أمام **ارنو** سوى يومين؛ لأنه كان عليه أن يعود بصحبة قافلة راجعة إلى صنعاء حاملة الملح، ويقول لنا في وصف سفرته: إنه كان يستطيع أن ينسخ نقوشًا كثيرة لولا مضايقة الناس له وفضولهم السمج. وفي طريق عودته نزلت القافلة بعد مسير يوم في **خرائب صرواح القديمة** المعروفة الآن بالخربة (لأنها خرائب)، وفي نصف الليل قام ارنو مع خادمه وشرع في نسخ نقوش عديدة على ضوء سراج ويقول لنا :إنه نسي نفسه برهة، ولكن خادمه ظل يذكره بوجوب الالتحاق بالركب، وهكذا ترك عمله مرغمًا

وسار في طلب القافلة التي كانت قد سبقته بمسافة كبيرة.

وعلى طريقه من صنعاء مرض وأصيب بمرض في عيونه، أما النقوش ووصف سفرته فقد وصلت إلى **القنصل الفرنسي فرزنل** في جدة، وهذا القنصل كان من الثقات في درس لهجات عرب الجنوب الحالية، وقد نشر هذه الذخائر في المجلة الآسيوية الفرنسية.

ارنست اوسيندر:

هذا الرجل مستشرق ألماني ساهم في تقدم معارفنا عن جنوب الجزيرة بترجمته نحوًا من ٤٠ نقشًا وصلت أوربا عن طريقين: أولاً عن طريق كولونل إنكليزي يدعى **توكلن** الذي اشترى من بعض البدو مجموعة نقوش سبئية مكتوبة على ألواح البرونز في حالة تامة. والطريق الثاني المعرض البريطاني الذي حصل على بعض النقوش والحجارة من مأرب.

وكان معظم هذه النقوش من مزار مقدس قديم في مكان يدعى **(عمران)** في الجهة الشمالية الغربية من صنعاء، ومحتوياتها أدعية شكر، وصلوات للاله المقاه (أو الموقة)، يستثنى نقش واحد (رقم **٢٩** من مجموعة اوسيندر) فإنه من شبوة القديمة في حضرموت.

يوسف هلفي:

في سنة **١٨٦٩**م عزم المجمع الفرنسي الشهير المعروف بالأكاديمية للنقوش القديمة والآداب أن يجمع جميع النقوش السامية القديمة في مجموعة؛ خدمة للعلم وتيسيرًا لتناولها عند الحاجة، فوقع اختيارهم على مستشرق يدعى **يوسف هلفي** للذهاب إلى جنوب الجزيرة لجمع النقوش

السبئية والحميرية، وعزم صاحبنا هذا على التزي بزي يهودي عربي؛ لأنه كان يعلم أن العرب تحتقر اليهود إلى درجة أن إيذاء أحدهم أو الاعتداء عليه يعد جبنًا من جانب المعتدي.

سافر هلفي سنة ١٨٧٠م قاصدًا صنعاء واختار أن يتبع أصعب بقع الجزيرة وعورة ومسلكًا، وبعد أن وصل صنعاء قام بسفرة إلى نجران في غير الطريق التي سلكها القائد الروماني (اليوس كالوس) ثم عاد إلى صنعاء بعد أن مر في مأرب وصرواح. أما العذاب والشقاء الذي لاقاه فلا تسل عنه ولاسيما إذا تذكرنا أن البدو ينظرون إلى هذه الخرائب نظرة مقرونة بالوجل والخشوع - وهذا يهودي يحاول أن ينسخ نقوشها ويدنس قبورها وينهك حرمتها.

ولكن الحظ ساعده فإنه رجع إلى فرنسا سالمًا حاملاً معه ٦٨٦ نقشًا نسخت من ٣٧ مكانًا مختلفًا، وقد نشر بعضها وعلق عليها ونشر أيضًا تقريرًا مسهبًا عن سفرته. إن قيمة هذه السفرة لا تنحصر فقط في زيادة عدد النقوش، ولكن هلفي اكتشف في البقاع الخصبة المحيطة بنهر الخارد في الجوف الجنوبي الواقع شمالي صنعاء آثار تدل على درجة سامية من الخصابة والعمران، ووجد بقايا بنايات ضخمة ومدن خربة مبنية في كثير من الأحيان على هضبات منيعة. وقد دلت النقوش على أنها من بقايا مملكة معين أو الدولة المعينية التي لم يبق لها ذكر حتى في أقدم الأساطير العربية. ولغة معين كما تتراءى لنا خلال هذه النقوش تختلف عن لغة سبأ وحمير.

وعثر هلفي على كثير من بقايا معابد وهياكل، والنقوش التي عليها تدل دلالة واضحة على رقي الحياة الدينية وسمو العاطفة الظاهرة في الهدايا

الموقفة للآلهة، فإنه في بقايا معبد ضخم في بلدة تعرف الآن باسم (**براقش**) نسخ أكثر من ١٥٠ نقشًا، وتبين من النقوش أن اسم المدينة القديم هو **يطيل**، ونسخ كثيرًا من النقوش في بلدة تعرف الآن باسم **السودا**، أما أعظم الآثار فقد وجدها في خرائب عاصمة مملكة معين واسمها كما يظهر من النقوش (قرنو) أما اسمها الحالي فهو معين، وهذا الاسم من بقايا ذكرى معين القديمة.

في هذه الفترة حدث انقلاب سياسي إذ ألحقت اليمن بالدولة العثمانية ولكن نفوذ تركيا لم يتعد إقامة حامية في صنعاء، وبقيت الأحوال السياسية خارج صنعاء كما كانت عليه سابقًا، وعليه لم يسفر الاحتلال التركي عن تحسن في حالة الأمن الضروري للتجوال والتفتيش عن آثار الباقين. وبعد الانقلاب هذا قام عدد من المستشرقين بسفرات إلى جنوبي الجزيرة، ولكنها لم تأت بعظيم فائدة خلال البحوث التي قام بها المستشرق (**ملتزن**) في اللهجات العربية الجنوبية التي أبقت لنا أمثلة حية على لهجات حضرموت القديمة.

ولكن يجب أن نذكر أن بعض الموظفين الأتراك جمعوا وابتلعوا قطع حجارة كثيرة عليها نقوش وأرسلت جميعها إلى إستانبول حيث أودعت دار الآثار.

تاريخ البعثات العلمية إلى جنوب الجزيرة العربية[1]

- ٢ -

سيغفريد لانغر:

في سنة ١٨٨٢م انتدبت جماعة المستشرقين في فينا أحد أفرادها **سيغفريد لانغر** ليذهب إلى اليمن لجمع النقوش العربية، وبعد أن أقام مدة وجيزة بين عرب سوريا لإتقان التكلم بالعربية أبحر إلى جدة ومن هناك سار بمعية الجيوش التركية إلى الحديدة، وفي طريقه إلى صنعاء وسط بلاد حمير القديمة عثر بالقرب من ظران على نقش حميري طويل استنسخه، ويعرف برقم واحد من مجموعته، ورأى النقوش والآثار التي وصفها نيبور، ثم جاء صنعاء وتمكن من نسخ عدة نقوش، وعندما حاول التوغل في داخلية البلاد منعه الأتراك وأرسلوه إلى الحديدة، ولكن عزمه لم يثبط بل غادر الحديدة إلى عدن حيث حصل على بعض النقوش من جهات مختلفة، ثم إنه تزيا بزي بدوي وعزم على الذهاب إلى داخل البلاد، ولكن لم يطل الوقت على اكتشاف حقيقة أمره، وعندما كان على مسيرة يوم أو أكثر من عدن قتل رميًا بالرصاص وهو يسبح في غدير، ولكن نقوشه وصلت أوربا سالمة ونشرت بعد موته.

أدور غلازر:

في سنة ١٨٨٠م انتدب المجمع الباريسي للمستشرقين **أدور غلازر**

(١) الدكتور أنيس فريحه، مجلة الاعتدال (النجف الأشرف - العراق)، العدد التاسع، السنة الخامسة، مارت (مارس) ١٩٤٠م، ص٤٩٥، ٤٩٩.

المستشرق والفلكي في مرصد فينا، فذهب أولاً إلى مصر وتونس حيث أتقن العربية، واطلع على عادات السكان وآدابهم.

وفي نفس السنة التي قضى فيها لانغر ضحية العلم وصل غلازر مدينة صنعاء، ولكن الأتراك منعوه من التجول في البلاد لخوفهم أن يحل به ما حل بسلفه لانغر. ولكن استمال بعض الموظفين الكبار ونال عطفهم فأذنوا له بالسفر، وفي السنتين ١٨٨٢-١٨٨٤م قام غلازر بثلاث سفرات في شمال اليمن جاعلاً مقره العام صنعاء، أما في السفرة الأولى فإنه التحق بحملة عسكرية تركية أنيط بها احتلال مدينة سودا التي كانت تظهر العداء للحكومة. وكانت الحملة تتألف من أربع شرازم عددها ١٣٠٠ نفر مجهزين ببعض المدافع، وكانت هذه الحملة تجوب جميع أنحاء البلاد الشمالية الغربية شاهرة الحرب على القبائل بصورة دائمة، وبعد أن تعرف إلى البلاد وجال فيها مع أفراد الحملة قام بسفرة في بلاد **همدان وشبام كوكبان وعمران**، وتفقد آثار تلك الأقطار ونسخ بعض الكتابات، ثم إنه تمكن أخيرًا من زيارة بلاد **حاشد** المحفوفة بالأخطار وذلك أن القبيلتين الكبيرتين **حاشد وبكيل مع ماهما عليه من القرابة كانت في حالة حرب عوان، وقد قبلت القبيلتان أن يحتكما إلى الوالي التركي ورضيتا به حكمًا، فاغتنم غلازر هذه الفرصة النادرة، وسار إلى حاشد في شهر يناير سنة ١٨٨٤م بصحبة بعض المشايخ الذين يقول لنا في مذكراته: إنهم حاولوا اغتياله، ولكنه نجا من مؤامرتهم، وعند نهاية هذه السفرة أرسل جميع ما حصل عليه إلى باريس إلى المجمع الذي أوفده، وكان جملة ما أرسله أربع أحجار عليها نقوش سبئية وما يقرب من ٢٨٠ نسخة لنقوش مختلفة، وقد قام بنشر بعضها العالم درنبوغ في**

مجلد خاص، أما دروسه وملاحظاته فيما يتعلق بالمناخ والأنواء والفلك والطوبغرافيا فلم تنشر بعد.

ثم إنه قام بسفرة ثانية من أوربا مستقلاً، وكان ينوي أن يزور الخرائب والآثار التي ذكرها نيبور بالقرب من ضمر وتريم، فزار العاصمة الحميرية القديمة **ظفار** ثم **تريم**، ومن هناك سار في جهة شمالية شرقية نحو **رداع. أما النتيجة فكانت أنه جمع من البلاد التي تعرف بالجوف ٣٧٨ نقشًا مع بعض الحجارة التي كانت هذه النقوش مكتوبة عليها ومعظمها نقوش معينية، وهي الآن بحوزة المتحف البريطاني الذي يباهي بها بأنها أكبر مجموعة للنقوش المعينية.**

ثم إنه غادر أوربا للمرة الثالثة وذلك سنة ١٨٨٧م، وكانت غايته هذه المرة الوصول إلى مأرب عاصمة سبأ القديمة، ولكي يتمكن من القيام بهذه السفرة المحفوفة بالأخطار تزيا بزي فقيه عربي، وكان يصحبه في سفرته هذه بعض أصحابه من البدو بينهم شريف من مأرب نفسها، وقد أجاد في تمثيل هذا الدور أحسن إجادة، وتمكن من الوصول إلى مأرب سالمًا بعد كثير من المعاناة، وأقام في مأرب ستة أسابيع رسم في أثنائها هندسة القناة القديمة وسدها الشهير، سد مأرب، الذي كان السبب الرئيسي في خصب البلاد وازدهارها.

ثم إنه نسخ النقش المكتوب على السد، ووصف لنا الهيكل العظمي للقمر ورسمه ويبلغ محيط دائرته نحوًا من ٣٠٠ خطوة، وهو هيكل ضخم تدل آثاره الصامتة على حضارة قديمة طمستها الأيام والرمال واستنسخ بنفسه

نحوًا من ٤٠٠ نقش، وعاد حاملاً بعض الحجارة والتماثيل، وهي الآن في متحف برلين وقد نشر بعضها والبعض الآخر رهن الدرس.

وبعد أن قام غلازر في أوربا زمنًا شاغلاً نفسه بدرس المجموعة التي جمعها في سفراته الأخيرة غادر أوربا سنة ١٨٩٢م قاصدًا جنوب الجزيرة، وكانت جامعة براغ هي التي تمده بالمال. وكان التجوال في داخل البلاد أمرًا مستحيلاً؛ ذلك لأن القبائل اتحدت جميعها في ثورة ضد الأتراك وكانت صنعاء في حالة حصار، ولذلك لم يستطيع مغادرة صنعاء.

ولكنه اهتدى إلى طريقة يستطيع معها الحصول على نقوش، وذلك بأنه علم البدو أن يضعوا قطعة من ورق النشاف على الصخر وبللها بالماء وربتها ربتًا خفيفًا وبعد دقائق يجف الورق وتنطبع عليه صورة النقش المحفور في الصخر، وقد أسفرت هذه الطريقة عن نتائج حسنة فإنه حصل على نقوش عديدة من جملها نقش صرواح المشهور فإن كلماته تربو على الألف ويعد أقدم نقش في تاريخ ملك سبأ، وجمع نحوًا من مئة نسخة تبين فيما بعد أنها ترجع إلى **مملكة قتبان التي لا تذكرها لنا المصادر الإسلامية.**

إن مؤرخي اليونان يذكرون لنا أربع ممالك عظيمة الشأن قامت في جنوب الجزيرة وهي **مملكة معين وحضرموت وقتبان. وكانت النقوش التي جمعت إلى ذلك الحين تثبت لنا صحة الخبر عن وجود الممالك الثلاث الأولى، ولكن لم يثبت لنا وجود مملكة قتبان إلا بعد أن حصل غلازر على مجموعته هذه من أيدي البدو، وهذه النقوش المئة تصور لنا صورة، ولو غير جلية، لمملكة قديمة لم يعرف حتى اسمها في المصادر الإسلامية المتأخرة، والفضل**

في هذا كله يرجع إلى هذا الرحالة الخالد الذكر.

بعثة ميلر ولاندنبرغ:

بينما كان غلازر في مونيخ منصرفًا إلى درس مجموعته من النقوش والكتابة أوفد مجمع فينا سنة **١٨٩٨**م كلاً من **الأستاذ ميلر، والكونت لدنبرغ** إلى جنوب الجزيرة لجمع الآثار والنقوش، وكان المجمع قد استأجر لهما باخرة اسوجية تكون تحت إمرتهما أثناء السفرة.

بدأت المصاعب في ميناء عدن الذي منه عزمت البعثة على التوغل في شرقي البلاد، وكان سبب المصاعب هذه غفلة المجمع عن أن يستحصل على إذن من الحكومة الإنكليزية التي كانت ترفض السماح لمن يريد التوغل داخل منطقة نفوذهم.

وهكذا سارت السفينة شرقًا إلى ساحل حضرموت في جهة بلحاف وعزموا على الذهاب إلى الخرائب التي على مقربة من **شبوة** بطريق **عزان وحبان**، ولكن خوفهم من العربان جعلهم يرجعون من عزان بعد أن استنسخوا نقشًا من خرائب حصن نقب الحجر، ونقشًا آخر من لبنة، وآخر من حصن الغراب. وفي شهر كانون الثاني سنة **١٨٨٩**م أبحرت البعثة إلى جزيرة سقطرة كي تقف على اللهجة المحكمة هناك ظنًا منهم أن الجزيرة هذه ولاشك قد حافظت على تراكيب ومفردات قد ترمي بعض النور على لغة الكتابات الموجودة في جنوب الجزيرة العربية، والمقالات التي نشروها بعد هذه السفرة في اللغة الصومالية والمهرية والسقطرية والشعرية قيمة للغاية.

جاءت الحرب الكبرى فأبطلت الأعمال الأركيولوجية في الجزيرة كما

أنها قضت على كثير من المشاريع التي كانت تعمل لتوسيع نطاق الأبحاث في تاريخ الحضارات، ولكن في هذه الفترة انصرف عدد كبير من المستشرقين لدراسة جنوب الجزيرة درسًا دقيقًا، وبعد الحرب ظهر في المجلات مقالات عديدة تبحث في مدنية الجزيرة وحضارتها قبل الإسلام، وكذلك ظهرت كتب عديدة سيما في الألمانية في عاديات جنوب الجزيرة وأديانها وآثارها وتاريخ الممالك التي قامت هناك، ناهيك عن المقالات اللغوية وبعض الكراسات التي تبحث في صرف ونحو هذه اللغات.

وقد يسأل بعض الناس ما الفائدة من هذه البعثات التي كلفت بعض الأشخاص حياتهم، وأنفقت الجمعيات، والمجامع العلمية مبالغ طائلة في سبيل الحصول على بعض الحجارة والكتابات الطلسمية؟.

إن عاديات قفار اليمن الرملية تشبه عاديات وادي الفرات ودجلة وعاديات وادي النيل، بمعنى إنها رمز عز مضى. هذه البقايا القليلة ترينا بجلاء أن اليمن وحضرموت كانتا مهد حضارة راقية، حضارة وصلت إليها تلك الممالك عن طريق الجد والعمل، ثم بعد أن تلاشت مراكز التجارة، وتغيرت الطرق البرية والبحرية، أخذت تلك الحضارة بالتأخر، وأخذ قبس المدنية يشع في بقاع أخرى من بقاع الأرض وحلّ فوق تلك الربوع ظلام دامس.

من أرجاء العالم العربي[1]

اليمن:

جاء في الصحف الأمريكية أن المستكشف الأمريكي **ويندل فيليس** قد غادر أمريكا إلى اليمن للكشف عن مدينة مأرب التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة، ولم تذكر تلك الصحف عما إذا كان المستر فيليس قد أوفد للتنقيب عن النفط إلى جانب قيامه بالبحث عن مأرب!

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) مجلة البعث العربي (بغداد)، العدد ٣، السنة الأولى، ١٥ كانون الأول، ١٩٥٢م.